في الاستراتيجية التنـ

قضيّة بنـ

□ في قاعدة من قواعد الجبهة : المقاتل والسلاح والفكر ، ثلاثي راسخ في معركة التحرير □

قضية بناء الحزب الثوري وبنيته ، امام مهمة حرب التحرير الشعبية ، هي من اهم القضايا التي تواجهها الثورة ، والتي على اساسها ، ووفق اسلوب حلها ، يتوقف مجمل مصير الثورة .

في البحث التالي يحدد تقرير سياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (مؤتمر شباط ١٩٦٩) الخطوط العريضة لاستراتيجية الجبهة التنظيمية، ننشر فيما يلي مقاطع منه:

ان حرب التحرير الشعبية ضد الامبريالية بتفوقها التكنولوجي ، وقدراتها الانتاجية والاقتصادية ، وخبراتها الطويلة في استعمار الشعوب واستغلالها وخنق حركتها ، واجهاض ثوراتها بأساليب جديدة متطورة ومتكيفة مع معطيات العصر ، لا يمكن ان تتولد ثم تستمر وتنتصر بشكل تلقائي عفوي .

ان الحزب الثوري الذي يعمل على توليد هذه الحرب ، وقيادتها حتى النصر ، شرط اساسي لكل ثورة جذرية حقيقية في عصرنا .

ان الحزب هو الذي يوفر الرؤية السليمة للمعركة ، وهو الذي يحدد استراتيجيتها وتكتيكها ، على ضوء الدراسة الموضوعية لقوى المعركة ، ونقاط الضعف ونقاط القوة في هذه القوى ، وهو الذي يوفر للمعركة قيادتها ، ويقدم الاطار الذي من خلاله نعبأ كافة الطاقات الجماهيرية وتوجه لكسب الحرب وتحقيق الهدف . وعلى ضوء تلك لا تعود قضايا الحزب (فهمنا للحزب واسس بنائه ، وتكوينه الطبقي، واسلوب عمله ، ومؤسساته والعلاقات التي تحكم قواعده وقياداته، وكذلك علاقات الحزب بالجماهير) لا تعود كل هذه القضايا قضايا ثانوية .

ان الاستراتيجية التنظيمية تصبح هنا جزءا لا يتجزأ من استراتيجية المعركة ورؤيتنا لها ، ان الحوار النظري الذي يدور منذ فترة من الوقت بين القوى الثورية في اميركا اللاتينية — الاحزاب الكاستروية من ناحية ، والاحزاب الشيوعية السوفياتية او الصينية الاتجاه من ناحية ثانية — يتركز بالدرجة الاولى حول قضايا بناء الحزب الثوري الذي يقود الثورة .

ان فشل الاحزاب القومية اليسارية والاحزاب الشيوعية في الوطن العربي هو فشل لهذه الاحزاب نفسها ، وبنيتها وتكوينها والاستراتيجيات التي اعتمدتها ، وليس فشلا لمبدأ وجود الحزب كشرط للوجود الثوري، بدليل انه لم تقم في هذا القرن ثورة نجحت واستمرت في الانتصار ، وحققت تغييرا جذريا في بنية المجتمع واعطت حياة جديدة للجماهير ، بدون حزب يقودها ويوفر لها الاساس الايديولوجي والطبقي الاجتماعي، الذي نستقر عليه وتستند له وتستمر في الوجود بحكم ارتباطها الموضوعي به .

ان الثورة الفلسطينية تتطلب بالضرورة الحزب الثوري الفلسطيني.

لا حزب ثوري بدون نظرية ثورية

ان الاساس في بناء الحزب الثوري هو النظرية الثورية التي يلتزمها ، وبدون هذه النظرية يكون الحزب مجرد تجمع يتحرك بالعفوية او بالتجربة ، ولا يمكن ان يكون القوة القادرة على التحكم بالاحداث . ان النظرية الثورية معناها الرؤية الواضحة والنهج العلمي في فهم وتحليل الاحداث والظواهر ، وبالتالي القدرة على القيادة .

والنظرية الثورية التي تطرح قضايا الانسان والعصر بشكل علمي وثوري هي الماركسية .

فالماركسية تمثل في تاريخ الجهد الانساني لاكتساب المعرفة محاولة فذة في فهم الطبيعة والحياة والمجتمع والتاريخ ، فقد طرحت نظرية تحلل وتفسر الطبيعة وحركتها والقوانين التي تتحكم بهذه الحركة من خلال نهج مادي علمي محسوس بعيد عن الاوهام والخرافات والتأملات والتصورات الذاتية ، والاستخراجات اللفظية او المنطقية المجردة ثم طبقت نفس هذا النهج — المادي العلمي المحسوس — على دراسة المجتمع ، وحركة المجتمع ، وسير التاريخ (المادية التاريخية) ، ووقفت بشكل خاص امام بنية وتركيب وتناقضات وحركة المجتمع الرأسمالي الحديث (نظرية فائض القيمة والاشتراكية العلمية)، ومن خلال ذلك كله قدمت الماركسية نهجا علميا جدليا ارتقى بدراسة التاريخ والمجتمع والظواهر السياسية الى مستوى العلم .

وكما ان العلوم الطبيعية هي وسيلة الانسان للتحكم بظواهر الطبيعة وتسخيرها لمصلحته ، كذلك فان الماركسية هي العلم الذي يمكن الانسان من فهم سير المجتمعات والتاريخ والقدرة على تسييرها والتأثير بها ، وقد اكمل لينين جهود ماركس العلمية بتطبيقه نفس النهج الماركسي على دراسة الرأسمالية في تطورها نحو مرحلة التمركز والاحتكار والاستعمار ، مفسرا بذلك كافة الظواهر والاحداث السياسية التي رافقت بداية القرن العشرين ، كما انه استطاع بالاستناد الى الماركسية ، والنهج العلمي الاشتراكي ان يقود بنجاح اول ثورة اشتراكية في التاريخ ويرسم استراتيجيتها ويواجه مشكلاتها ويحدد معالم التنظيم الثوري الذي قادها في طريق النصر ، وبذلك اعطى لينين النظرية الماركسية تطبيقاتها العصرية الثورية ، بحيث اصبحت الماركسية اللينينية هي علم الثورة في هذه الحقبة من تاريخ الانسانية .

وقد اجتازت هذه النظرية ، مثل كل النظريات العلمية الاخرى ، اختبار صحتها على ارض الواقع والممارسة ، فاكتسبت بالتالي، خلال هذا القرن ، كافة مقوماتها كعلم .

ان الاختبار النهائي لاية نظرية من النظريات او قانون من القوانين هو مجيء التجربة متوافقة مع النظرية والقوانين ، وهذا ما حدث بالنسبة للماركسية .

ان ثورة اكتوبر ، وثورة الصين ، وكوبا ، وفيتنام ، وكل الوجود الثوري على الصعيد العالمي ، قام اساسا استنادا لهذه النظرية ، يقابل هذه الصورة تعثر وتبلبل وانهيار كافة المحاولات الثورية التي لم تستند الى هذه الرؤية وهذه النظرية وهذا الدليل ، اذ انه ليس من باب الصدفة نجاح وثبات ثورة اكتوبر والصين وكوبا وكوريا الشمالية وفيتنام ودول اوروبا الاشتراكية ، في الصمود في وجه الامبريالية ، ونجاحها في تجاوز او بداية تجاوز حالة التخلف ، مقابل ما يشبه الشلل والتعثر التي تعيشها بلدان العالم الثالث ، غير الملتزمة علميا بالنظرية الاشتراكية العلمية كدليل لها في رسم كافة سياساتها وتحديد برامجها .

ان التتبع العلمي المادي الملموس لاحداث وثورات هذا القرن هو البرهان الحسي على صحة النظرية الماركسية .

بين النظرية والتطبيق

ان الماركسية كسلاح نظري ثوري رهن بكيفية فهمها من ناحية وبصحة تطبيقها على واقع معين ومرحلة معينة من ناحية ثانية ، ان جوهر الماركسية هو النهج الذي تمثله في رؤية الامور وتحليلها وتحديد اتجاه حركتها ، وبالتالي فان الفهم الثوري للماركسية هو فهمها كدليل للعمل وليس كعقيدة ثابتة جامدة ، ان لينين وماوتسي تونغ ، وقبلهما ماركس وانجلز سجلوا في اكثر من مناسبة ضرورة النظر للماركسية كدليل للعمل وليس كعقيدة جامدة .

ان جوهر النظرة الماركسية للمجتمع البشري انه في حركة متصلة ، وتغير متصل ، وبالتالي فان أي تحليل قدمته الماركسية لمرحلة معينة وواقع معين ، لا يمكن ان يبقى هو نفس التحليل لمرحلة اخرى ولواقع جديد ينشأ باستمرار عن الواقع القديم ، ان الثابت في الماركسية هو منهجها العلمي الجدلي في رؤية الامور وهي في حالة الحركة والتغير المتصل — وان هذا النهج هو الماركسية وهو جوهرها ، وهو السلاح النظري الثوري الذي يمكننا من رؤية الامور علميا وهي في حالة الحركة والتطور والتبدل المستمر .

ان الرأسمالية المعاصرة ليست هي نفس الرأسمالية في عصر ماركس ، دون اي تبديل او تغيير ، وان التكوين الطبقي في مجتمع متخلف ليس نفس التكوين الطبقي في مجتمع صناعي ، وان الظاهرة القومية التي حاولت البرجوازية الاوروبية استغلالها لخدمة مصالحها، ليست نفس الظاهرة القومية في البلدان المتخلفة ، حيث تكتسب القومية هنا مضمونا ثوريا باعتبارها الاطار الذي يعبىء الشعوب المستعبدة ضد الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية .

ان فهم الماركسية بشكل يمكننا من استيعاب هذه الفوارق ، ومن الافادة من الثروة النظرية التي قدمتها ثورات هذا القرن ، ومن الافادة ايضا من كافة الجهود النظرية التي انطلقت من اعتماد الماركسية وعملت على اغنائها بدلا من ان تقف وتتحجر عند حدودها ، ان مثل هذا الفهم للماركسية هو في واقع الامر الفهم العلمي لهذه النظرية، وعكس ذلك كل موقف ينظر للماركسية كعقيدة ثابتة .

ان النظرية في المفهوم الماركسي هي باستمرار على علاقة جدلية متصلة مع الواقع والممارسة ، وكونها على علاقة جدلية مع الممارسة معناه انها في حالة نمو وارتقاء وتعديل وليس في حالة جامدة .

النظريـــة كسلاح

ان اخطر ما يواجهنا في التزامنا للنظرية الماركسية هو فهمها بشكل مثالي ميكانيكي يفقدها قدرتها على تفسير الواقع الحي ، ان الفائدة التي نحصل عليها من قراءة وفهم ما كتبه ماركس ولينين هي فائدة محدودة بحدود المعارف التي تطرحها هذه الكتابات ، واما الفائدة الحقيقية فهي التي تحصل عندما نمتلك من خلال استيعابنا العميق لهذه الكتابات النهج الذي تطرحه الماركسية اللينينية في فهم وتفسير ومواجهة قضايا المجتمع والتاريخ والعمل الثوري، ان الماركسية كاداة في التحليل وكدليل للعمل هي السلاح الذي نستهدفه من امتلاك النظرية ، وعلى هذا الاساس فان التزام الماركسية اللينينية لا يقدم ولا يؤخر ما لم ينتج عن هذا الالتزام استعمال هذه النظرية وتطبيقها في فهم الواقع واستخراج استراتيجية العمل التي تحدد طبيعة المرحلة وطبيعة المعركة وتحديد القوى المتصارعة ، ورؤية حركة هذا الصراع ، والاحاطة بالظروف الموضوعية التي تتحرك من خلالها — فبهذا فقط ، أي تطبيق الماركسية اللينينية على الواقع الذي نعيشه والمعركة التي نخوضها ، يصبح التزامنا بالنظرية الماركسية اللينينية التزاما له معناه وله نرجماته ونتائجه ، اننا نخطىء كثيرا اذا توهمنا أن مجرد اعلاننا الالتزام بالنظرية الماركسية اللينينية سيشكل عصا سحرية تشق لنا طريق النصر ، فبقدر ما توجد امثلة على ما مثلته الماركسية اللينينية بالنسبة لبعض الثورات ، كثورة الصين وفيتنام مثلا ، هنالك بالمقابل امثلة لم يؤد بها الالتزام بالماركسية اللينينية الى أي شيء ، ان الاحزاب الشيوعية العربية ، الملتزمة شكلا ولفظا بالماركسية اللينينية لم تستطع قيادة الثورة في وطننا لان التزامها كان التزاما لفظيا ، او لانها فهمت النظرية بشكل جامد متحجر ، او لانها لم تستطع تطبيق هذا السلاح النظري على الواقع الذي نعيشه بحيث نستخرج بواسطته الرؤية الواضحة للمعركة والاستراتيجية السليمة لقيادتهـــا .

الحزب والنظريـــة

ان التزامنا بالنظرية الاشتراكية العلمية يكون مجرد فذلكة لفظية ، ومجرد وهم وهروب من الواقع ، ما لم يكن استيعابا ناضجا لهذه النظرية ، وهذا الاستيعاب لا يمكن أن يتم دون جهد دراسي كبير لا بد من بذله لفترة طويلة من الوقت ، هذا من ناحية : ومن ناحية ثانية فان قيمة هذا الالتزام تتوقف على طبيعة فهمنا لهذه النظرية كاداة